اعبدوا الخالق

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: مزمور ١١٥: ١-٨؛ تثنية ١٠: ١٧-٢٢؛ مزمور ١٠١: ١؛ إشعياء ١: ١٠-١٧؛ إشعياء ٥٨؛ إنجيل مرقس ١٢: ٣٨-٤٠.

آية الحفظ: **«أليس هذا صومًا أختاره: حل قيود الشر. فك عقد النير، وإطلاق المسحوقين أحرارًا، وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عريانًا أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك» (إشعياء ٥٨: ٦، ٧).**

حتى القراءة السريعة لكتابات أنبياء العهد القديم تُنبّهنا إلى اهتماماتهم بالإساءة إلى الفقراء والمظلومين. فالأنبياء، والله الذي كانوا يتكلمون نيابة عنه، غضبوا على ما شاهدوه يجري في كل الأمم المحيطة (انظر، مثلًا، عاموس ١ و٢). ولكن كان لهم أيضًا إحساس خاص بالغضب والحزن على أعمال الشر والإثم التي يفعلها شعب الله أنفسهم، أولئك الذين كانوا مُتلقّين للكثير من النعم والبركات الإلهية. نظرًا لتاريخهم، بالإضافة إلى القوانين والوصايا المعطاة لهم من الله، كان على هؤلاء الناس أن يكونوا على معرفة أفضل. ولكن مع الأسف، لم يكن ذلك هو الحال دائمًا، وكان للأنبياء الكثير ليقولوه حول هذه الحالة الحزينة من الأحداث.

من المثير للاهتمام أن نكتشف، أيضًا، أن الكثير من الفقرات المعروفة جيدًا الخاصة بالعدل والظلم في كتابات أنبياء العهد القديم قد أُعطيت في سياق التعاليم الخاصة بالعبادة. وكما سنرى، فالعبادة الحقَّة ليست مجرَّد شيء يحدث خلال طقسٍ ديني. العبادة الحقيقية تختص أيضًا بعيش حياة تشارك اهتمامات الله من أجل خير الآخرين وتسعى لرفع المنسحقين والمنسيين.

* نرجو التعمُّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم ١٠آب (أغسطس).

الوثنية والقمع

بعد أن قاد الله شعب إسرائيل خارج مصر بوقتٍ قصير، التقى بهم في جبل سيناء، مُعطيًا إيَّاهم الوصايا العشر بصيغة مكتوبة، متضمِّنة الوصيتين الأولى والثانية بخصوص عدم عبادة آلهة أخرى وعدم صناعة تماثيل أو أصنام (انظر خروج ٢٠: ٢-٦). استجابة لذلك، تعهَّد الشعب أن يفعلوا كل ما أمرهم الله به وأن يعيشوا كشعبٍ له (انظر خروج ٢٤: ١-١٣).

ولكن بعد ذلك صعد موسى إلى الجبل لمدة ستة أسابيع تقريبًا، وابتدأ الناس يتساءلون عمَّا حدث له. وتحت ضغط الجماهير، صنع هارون تمثال عجلٍ ذهبي ودعا الشعب ليُقدِّموا ذبائح ومحرقات أمامه، بعد ذلك: «جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب» (خروج ٣٢: ٦). غضب الرب وموسى من السرعة التي ابتعد بها الشعب عن الله إلى عبادة الأصنام — وبدا وكأن شفاعة موسى فقط هي التي أنقذت إسرائيل من القصاص الذي يستحقه (انظر خروج ٣٢: ٣٠-٣٤).

الوثنية، على كل حال، كانت تجربة سقط فيها شعب الله في كثير من الأحيان. وتاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا يتخلله فترات من الوثنية، شملت أفعالًا مُشينة قاد فيها بعض الملوك شعبهم لاقترافها في عبادتهم لتلك الآلهة. مثل هذه الخيانة أو عدم الأمانة كانت مدعاة تركيز متكرر لأنبياء الله الذين أرسلوا ليدعوا الشعب للرجوع إليه. وغالبًا، أيضًا، وفي وسط الدعوات للنهوض والإصلاح، كانت هناك دعوات لمعاملة أفضل للفقراء، والمحتاجين، والضعفاء بينهم.

اقرأ مزمور ١١٥: ١-٨. ما هي النقطة الأساسية التي يضعها المؤلف هناك؟

إنه ميل بشري أن نُصبح على شاكلة الشخص أو الشيء الذي نعبده ونركز عليه. وعلى ذلك، فقد كان من الطبيعي أن الاهتمام بالآخرين وبالعدل أن يتلاشى عندما ابتعد شعب الله عن عبادة إله العدل والحق ليعبدوا الآلهة الكاذبة للأمم المحيطة بهم، والتي غالبًا ما وُصِفَت بأنها آلهة الحرب أو الخصوبة. فعندما اختاروا آلهة أخرى، غيَّر الشعب موقفهم وسلوكهم في أشياء كثيرة، تتضمن كيفية معاملتهم للآخرين. لو أنهم كانوا أمناء للرب، لشاركوه في اهتمامه بأولئك الذين هم بحاجة فيما بينهم.

تأمَّل أكثر في هذه الفكرة عن أننا نصبح على شاكلة ما نعبد. كيف نرى ظواهر مُعاصرة لهذا المبدأ؟

سبب للعبادة

عبر كل الكتاب المقدس، يُستحثُّ شعب الله ليعبدوا الله، ولكننا نحن أيضًا أُعطينا وبصورة متكررة أسبابًا لفعل ذلك. قيل لنا أن نعبده لأجل مَن هو، وما فعله، ولأجل سماته وصفاته الكثيرة. من بين هذه الصفات الصلاح، والعدل، والرحمة. وعندما يتم تذكيرنا مَنْ هو الله، وما فعله من أجلنا (خاصة في صليب المسيح)، وما الذي يَعِد أن يفعله، فلا يجب أن يبقى أي فرد منا بدون سبب لعبادة الله وتسبيحه.

اقرأ تثنية ١٠: ١٧-٢٢؛ مزمور ١٠١: ١؛ مزمور ١٤٦: ٥-١٠؛ إشعياء ٥: ١٦؛ إشعياء ٦١: ١١. ما هي الدوافع لعبادة وتسبيح الله التي وردت في هذه الآيات؟

لم تكن هذه الأسباب للعبادة جديدة على شعب الله. بعض أكثر أوقات العبادة حماسًا للشعب الإسرائيلي، المحُرر حديثًا، حدث كاستجابة لتدخُّل الله الواضح من أجلهم. مثالًا، بعد أن تمَّ إخراجهم من مصر وعبور البحر الأحمر، قاد موسى ومريم الشعب في إنشاد التسابيح لله لما شاهدوه للتو ولما نجوا منه (انظر خروج ١٥).

إنَّ عدل الله ورحمته، كما ظهرت في مثل هذه الأحداث، لم تكن لتُنسى. وإذ أبقى الناس هذه القصة حيَّة عن طريقة إعادة روايتها بشكل منتظم، فإنَّ أفعال وعدالة الله استمرت لتكون مصدر إلهام لعبادتهم طوال سنين لاحقة ولأجيال تالية. أحد الأمثلة عن هذه الإعادة للرواية والعبادة وردت في تثنية ١٠: ١٧-٢٢.

إنَّ عدالة الله، هي أولًا، ببساطة جزء من كيانه، مكوِّن جوهري لصفاته الأساسية. «فحقًا أن الله لا يفعل سوءًا، والقدير لا يُعوج القضاء» (أيوب ٣٤: ١٢). الله عادل ويهتم بالعدل — وهذا سبب لعبادته وتسبيحه.

ثانيًا، إنَّ عدالة الله تُرى في أعمال العدل والبِرّ نيابة عن شعبه ونيابة عن كل الفقراء والمظلومين. إنَّ عدله ليس مجرَّد وصف لصفاته. بل إنَّ الكتاب المقدس يُصوِّر الله كإله «سمع زعقة البائسين» (أيوب ٣٤: ٢٨) ونشيط وحريص لتصحيح الأخطاء الظاهرة بوضوح في عالمنا. سيتم إدراك هذا بشكل كامل، وبصورة نهائية، في دينونة الله الأخيرة وفي إعادة خلقه للعالم.

إذا كان لدى الإسرائيليين في العصر القديم سببًا لتسبيح الرب، فكم بالحري أكثر نحن، بعد الصليب، لدينا أسباب لتسبيحه.

متدينون ظالمون

خلال الأزمنة الأفضل لممالك إسرائيل ويهوذا، كان الشعب يعود إلى الهيكل وإلى عبادة الله، مع أنه حتى في ذلك الحين، كانت عبادتهم ممتزجة غالبًا بالوثنية وديانات الأمم المحيطة. ولكن بحسب الأنبياء، فحتى أفضل محاولاتهم ومساعيهم في الدين لم تكن كافية لتردُّهم عن الشرور التي تُرتكب في الأرض في حياتهم اليومية. ومهما بذلوا من جهد ليكونوا متدينين من خلال طقوسهم وعبادتهم، لم تستطع موسيقى أغانيهم وترانيمهم أن تخنق صرخات الفقراء والمظلومين.

وصف عاموس الناس في زمانه بأنهم « الْمُتَهَمِّمُونَ الْمَسَاكِينَ لِكَيْ تُبِيدُوا بَائِسِي الأَرْضِ» (عاموس ٨: ٤). لقد رأى رغبتهم في إنهاء طقوسهم حتى يتمكنوا من إعادة فتح أسواقهم والعودة إلى تجارة الغش والخداع، «لنشتري الضعفاء بفضة والبائس بنعلين» (عاموس ٨: ٦).

اقرأ إشعياء ١: ١٠-١٧؛ عاموس ٥: ٢١-٢٤؛ وميخا ٦: ٦-٨. ما الذي كان الرب يقوله لأولئك الناس المتدينين بخصوص طقوسهم؟

يستخدم الله، من خلال أنبيائه، لغة قاسية للتهكم على الديانة والعبادة المنفصلة والمتناقضة مع آلام ومظالم الذين هم حولهم. نقرأ في عاموس ٥: ٢١-٢٤ عن الله قوله أنه «يكره»، «يُبغض» ويشمئز من عبادتهم بشكل عام. وقد وصفت اعتكافاتهم أو تجمعاتهم مثل «عفونة» وتقدماتهم وأغانيهم لا قيمة لها.

في ميخا، الأصحاح السادس، نرى سلسلة من الاقتراحات المتضخِّمة بشكل متزايد، يصل إلى حد السخرية، عن الكيفية التي يمكنهم أن يعبدوا الله بها بشكل أكثر مُلائمة. يقترح النبي بسخرية تقديم المحرقات، ثم يزيد التقدمات إلى «ألوف الكباش، بربوات أنهار زيت» (ميخا ٦: ٧) وذلك قبل أن يصل إلى الاقتراح المُرعب والرهيب — ولكن ليس غير معروف — الاقتراح الأقصى للتضحية بابنه البكر لنيل رضى الله وغفرانه.

في النهاية، فإنَّ ما يطلبه الرب منهم حقًا هو أن «تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعًا مع إلهك» (ميخا ٦: ٨).

هل وجدت نفسك ذات مرة مذنبًا في كونك تولي انتباهًا للمظاهر والطقوس الدينية أكثر مِن اهتمامك بمساعدة أولئك المحتاجين حولك مباشرة؟ ما الذي تعلمته من ذلك الاختبار؟

طريقة للعبادة

في تفسيرهم للعلاقة بين العبادة والعدل، هناك خطوة أخرى حَثَّ عليها الأنبياء: وهي أنَّ الاهتمام الفاعل للتخفيف عن الفقراء والمظلومين ومساعدة الذين هم في حاجة هو جزء هام من العبادة نفسها. إشعياء ٥٨ هو أحد الأصحاحات التي تجعل هذه العلاقة والصلة واضحة بجلاء.

اقرأ إشعياء ٥٨. ما الذي حدث خطأ في العلاقة بين الله وشعبه كما وُصِفَ في الجزء الأول من هذا الأصحاح؟

كما رأينا سابقًا، هذه الانتقادات مُوجَّهة إلى الناس الذين هم نشيطون دينيًا. يبدو أنهم يسعون بإخلاص في بحثهم عن الله، ولكن من الواضح أنَّ ذلك لا يفلح. وعلى ذلك، يقول الله أنَّ عليهم أن يُجرِّبوا تغيير طريقة عبادتهم، ويختبروا طريقة مختلفة لخدمة الله. فإذا كان لله أن يختار كيف عليهم أن يتعبدوا، فسيكون ذلك: «حل قيود الشر. فك عقد النير، وإطلاق المسحوقين أحرارًا، وقطع كل نير» (إشعياء ٥٨: ٦). وعليهم أيضًا إطعام الجائعين، وإيواء التائهين، ومساعدة الذين هم في حاجة.

مثل هذه الأفعال ليست مُقدَّمة كالطريقة الوحيدة للعبادة، ولكن الله يحثُّ عليها كطريقة للعبادة — وكشكل من أشكال العبادة التي يمكن أن تكون أفضل للبعض من ممارسات العبادة الأكثر تقليدية. وعلى ذلك، فالعبادة لا تُركِّز على داخل الإنسان فقط ولكنها شيء يجلب البركة لجميع المُحيطين بالمتعبِّدين لله. «إن الهدف الحقيقي للدين هو إعتاق الإنسان من أحمال الخطية، والقضاء على التعصُّب والظلم، وتعزيز العدل والحرية والسلام» (SDA Bible Commentary, Vol. 4, p.306).

في إشعياء ٥٨: ٨-١٢، يعد الله ببركات كاستجابة لهذا النمط من العبادة. وفي الواقع، يقول الله، لو أنّ الناس كانوا أقل تركيزًا على أنفسهم، سيروا أنّ الله يعمل معهم ومن خلالهم لجلب الشفاء والاسترداد.

ومن المثير للاهتمام، هذا الإصحاح يوصل هذا النمط من العبادة أيضًا مع تجديد في «لذَّة» — حفظ يوم السبت. لقد رأينا بالفعل بعض الروابط القوية بين السبت والخدمة، ولكن هذه الآيات تشمل كلًا من هذه الأنشطة في هذه الدعوة للشعب لإعادة تنشيط عبادتهم ولاكتشاف بركات الله. وفي تأملها لهذه الآيات، تُعلِّق إلن هوايت بالقول: «تقع على عاتق أولئك الذين يحفظون سبت الرب مسؤولية القيام بعمل الرحمة والخير» (روح النبوة، الخدمة المجتمعية، صفحة ١٢١).

الرحمة والإخلاص

عندما تواجه يسوع مع بعض القادة الدينيون في زمانه الذين انتقدوه لأنه يأكل مع «الخطاة»، اقتبس يسوع قول النبي هوشع، قائلًا لهم أن يرجعوا إلى كتبهم ويكتشفوا ما كان يعنيه الله حقًا عندما قال: «إني أريد رحمة لا ذبيحة» (إنجيل متى ٩: ١٣؛ هوشع ٦: ٦).

كما سنرى، عاش يسوع حياة الاهتمام والخدمة. تفاعلاته مع الآخرين، معجزاته الشفائية، والكثير من أمثاله أوضحَت وحثَّت على أن حياةً تُعاش على مثل هذا النمط هي الطريقة الأفضل للتعبير عن التكريس الحقيقي لله. كان القادة الدينيون هم أعظم منتقديه ولكنهم كانوا أيضًا هدف أقسى انتقاداته. ومثل الناس المتديِّنين في زمان النبي إشعياء، كانوا يعتقدون أنهم أمَّنوا علاقاتهم الخاصة مع الله بسبب ممارساتهم الدينية، مع أنَّهم كانوا في ذات الوقت يستغلون الفقراء ويهملون المُحتاجين. كانت عبادتهم خارج مسار أفعالهم، ولم يكن يسوع مُتحفِّظًا في إدانته لهكذا نفاق ورِياء.

اقرأ إنجيل مرقس ١٢: ٣٨-٤٠. هل يبدو تعليق يسوع عندما قال بأنهم «يأكلون بيوت الأرامل» خارج سياق هذه القائمة، أو أنَّ هذه النقطة التي يُحاول يسوع أن يبينها؟ كيف يمكنك أن تشرح لماذا «هؤلاء يأخذون دينونة أعظم»؟

لعلَّ أكثر عظة مُخيفة ليسوع — خاصة بالنسبة للناس المتدينين — هي التي وردت في إنجيل متى ٢٣. لم يصف يسوع ديانتهم بأنها لا تُساعد المحرومين في الحياة فقط، بل اعتبر ديانة كهذه كزيادة حملٍ على أحمالهم. فبسبب أفعالهم أو أحيانًا بسبب تقصيرهم في الأفعال والاهتمام، قال يسوع، «تُغلقون ملكوت السماوات قُدَّام الناس» (إنجيل متى ٢٣: ١٣).

ولكن يسوع، مردِّدًا أقوال الأنبياء من قرون سابقة، وجّه كلامه وبصورة مُباشرة إلى الهُوَّة بين ممارساتهم الدينية الجدِّيَّة وبين الظلم الذي تغاضوا عنه وانتفعوا منه. «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المُراؤون! لأنكم تُعشِّرون النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان» (إنجيل متى ٢٣: ٢٣). وأسرع يسوع ليُضيف بأنَّ الممارسات والشعائر الدينية ليست خطأ في حدِّ ذاتها، ولكنها يجب ألا تحل محل مُعاملة الآخرين بالعدل.

كيف يمكننا أن نتحاشى فخ الاعتقاد بأنَّ امتلاك معرفة الحق هو أمر كافٍ؟

الجمعة

٩ آب (أغسطس)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة من الفصل الذي بعنوان «إشعياء ٥٨ — توصية (وصفة) إلهية»، صفحة ٢٩-٣٤، من كتاب الخدمة الاجتماعية؛ ومن الفصل الذي بعنوان «الويلات على الفريسيين»، من كتاب مشتهى الأجيال، صفحة ٥٧٥-٥٨٦.

«في التشديد على قيمة القداسة العملية، ظلَّ النبي يُردد المشورة المقدَّمة للشعب منذ قرون مضت... ومن جيل إلى جيل كان خُدَّام الله يُردِّدون هذه النصائح على مسامع من كانوا في خطر السقوط في عادات التمسك بالرسميات ونسيان عمل الرحمة» (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٢٧٧).

«لقد أُرشِدتُ إلى لفت انتباه المؤمنين إلى الأصحاح الثامن والخمسين من سفر إشعياء. اقرأ هذا الأصحاح بعناية واستوعب نوع الخدمة التي ستجلب الحياة إلى الكنائس. إنَّ عمل الإنجيل يجب أن يتم عن طريق سخائنا كما عن طريق أعمالنا. عندما تلتقي بالنفوس المتألِّمة التي تحتاج إلى مُساعدة، أعطها الإنجيل. عندما تجد الجائعين، أطعمهم. فبفعلك ذلك ستكون عاملًا ضمن صفوف خدمة المسيح. كان العمل المقدس للسيد هو عمل الخير. ليتشجع شعبنا المؤمن في كل مكان ليساهموا فيه» (روح النبوة، الخدمة الاجتماعية، صفحة ٢٩).

أسئلة للنقاش:

١. هل فكرت يومًا أنَّ تحقيق العدل ومحبة الرحمة هي من أعمال العبادة؟ كيف يمكن لهذا أن يُغير نهجك وأسلوبك في الاهتمام بالآخرين؟ كيف يمكن لهذا أن يُغيِّر أسلوبك ونهجك في العبادة؟

٢. كيف يمكننا أن نحترز من ترك «أثقل الناموس» (إنجيل متى ٢٣: ٢٣) في حياتنا المسيحية، في حياتنا الشخصية وأيضًا كمجتمع كنسي؟ هل يمكنك التعرُّف على بعض الأمثلة في اختبارك الشخصي حين «صفَّيتَ الماء من البعوضة ولكنك بلعت الجَمَل!» (إنجيل متى ٢٣: ٢٤ ترجمة كتاب الحياة)؟

٣. لماذا يُعتَبر الرِّياء خطية بهذا القدر؟ أليس من الأفضل على الأقل أن نحاول التظاهر بأننا نفعل الخير؟

٤. كيف عملت نظرة الله وشفقته نحو الفقراء والمحتاجين، كما عبَّر عنها من خلال الأنبياء، على تغيير وجهة نظرك إلى العالم؟ كيف يمكنك أن تقرأ أو تسمع تقارير الأخبار المحلية بطريقة مختلفة لو أنك رأيت وسمعت بأعين وآذان أحد الأنبياء؟

ملخص: في حين كان الأنبياء قلقين بشأن الشر على الأرض، كانوا يُركزون بشكل خاص على الشر الذي يُرتكب بواسطة الناس الذين ادَّعوا بأنهم يعبدون الله كإله لهم. بالنسبة للأنبياء وليسوع، العبادة لا تتناسب مع الظلم، ومثل هذه الديانة هي رياء. فالعبادة الحقيقية التي يطلبها الله تتضمَّن العمل ضد الظلم والقهر والاهتمام بالفقراء والمُحتاجين.